وكيف انه في نهاية اللقاء يسأل الصحفي الفرنسي المصري : « أأنت مناهض للسامية ؟ » فيجيب : لا . ثم يسأل الاسرائيلي : « أأنت مناهض للعرب؟» فيجيب : لا .

ويعلق المؤلف على هذه الحادثة بقوله : « وليس في كل ذلك شأن سوى عجيج وسائل الاعلام التي فيها يغرقون الناس ، ويعادل عجيج الاعلام سخافته وكذبه . ففي اذاعة سبقتها دعاية كبيرة يسألون عربيا هل يناهض السامية فلا يفطن لما في السؤال من حماقة . وعلى هذا النحو يتعدون يوميا على ضمير الملايين من الناس **فيعادلون بين اليهودية والصهيونية واسرائيل ، وفيها يحصرون السامية** » .

ويعتقد الاب سلوم ، وعلى حق ، ان الصهيونية لا يمكن ان تفهم الا اذا وضعت ضمن هذا الاطار ، اي ضمن اطار الحضارة الغربية القائمة على ما يسمى بالرأي العام الذي يسير ويكيف وفق مصالح خاصة بعيدة كل البعد عن طلب الحقيقة . انها حضارة غرب قائم على الكذب والرياء فلا يتلفظ الا بالحرية والديمقراطية ، حريته وديمقراطيته هو لا حرية الاخرين . وكلام الغرب عن ذاته وعن « حضارته » و« اشعاعه » و« رسالته الشمولية » فقد كل حياء وكل هيبة فلم يعد يصلح الا لدك الذكاء .

بعد ذلك يعود المؤلف الى التاريخ فيذكر كيف جاء اليهود الى فلسطين (وكانت حينئذ ارض كنعان) فقضوا على أهلها واستقروا مكانهم . « وبعد خمسة عشر قرنا من تاريخ مشحون بالاحداث لم تنقطع فيه الخصومات الداخلية أصبحت البلاد مستعمرة رومانية » . آنذاك ظهر المسيح حاملا رسالة اخلاقية انسانية شاملة تحتقر السياسة وتناهض شكلية الديانة القائمة وتعصبها وجمودها . « ناضطهده قومه وأسلموه الى السلطات الرومانية واقاموا الشكوى عليه بأنه مفسد فحكم عليه بالموت . واتصلت القلائل من بعده وقامت محاولات ضد الرومان فقسوا وبددوا السكان » .

وكان من نتيجة ذلك ان ولد ما عرف باسم « الشتات » (Diaspora) . وقد عاش اليهود آنذاك على هامش الامبراطورية الرومانية والدين الجديد يفصلهم عنه تعصبهم بالرغم من سقوط روما وتحولها الى الدين المسيحي . ثم ساد الاسلام فعامل اليهود معاملة النصارى . « **أما في الغرب فولد الجيتو** » ، ومحاكم التفتيش وكل موجات العداء للسامية واليهودية التي نعرفها والتي تفسر بشكل رئيسي بسبب الدور الاقتصادي الذي كان يؤديه اليهود اذ ان الكثيرين منهم قد لجأوا الى التجارة فاغتنوا : « والذين اغتنوا منهم لم نبيعهم الدراهم اذ اصبحوا لا يستغنى عنهم فزادت الدراهم على وصمتهم وصمة الربى » . أما الذين بقوا فقراء فلم تشفع يهوديتهم فيهم لدى الاغنياء من اخوانهم وكان هؤلاء يستفيدون منهم « **فدام الجيتو وساء وضعه بفعل القائمين عليه** ». وهكذا فالمؤلف لا ينظر الى المسألة اليهودية من خلال العنصرية او الدين بل يحللها من زاوية مرتكزاتها الاقتصادية ومن زاوية الاستغلال الذي يمارسه اغنياء اليهود على فقرائهم لربطهم بشكل دائم بالجيتو وبعلاقات الاضطهاد والاستغلال التي تمارس ضمن حدوده . ويتابع المؤلف سرده للتاريخ اليهودي فيذكر كيف ان الاسواق التي فتحها اكتشاف اميركا وما احدثه الاصلاح والحروب الدينية من تفسخ في المجتمع الغربي ، قد ساعدت في ظهور نخبة يهودية ومساهمتها في الثقافة بصورة فردية وكيف استفادت تلك النخبة من التسامح الذي تلا الثورة الفرنسية . الا ان يقظة القوميات في القرن التاسع عشر أرغمت اليهود على التكتم او الهامشية ، « وحيثما تجرأوا على التطلب او المعارضة كانوا يثيرون الحذر او الاضطهاد ».

من هنا ، يقول المؤلف ، نشأت فكرة جمع اليهود في وطن قومي ، أي ضمن اجواء الشوفينية الغربية وضمن اجواء الافكار الاستعمارية التوسعية وقد فكروا بفلسطين ، مستغلين الشعور « الديني » لاغراض سياسية ، فكانت الصهيونية.

والشيء الطريف الذي يورده الكتاب هنا هو ان اختيار الصهاينة لاسم « ارض اسرائيل » (ايرتس اسرائيل) بدلا من فلسطين له دلالته . فالكلمة تعني حرفيا : « أرض من يحارب الله » . ومسؤولية بريطانيا في كل هذا كبيرة وكبيرة جدا . فبسبب الحرب والمتاعب المالية وانعدام الضمير لدى الحكام الانكليز نشأت أولى مآسي هذا العصر واول مآثمه من خلال وعد بلفور المشؤوم . « ويدوم هذا الاثم لا يتغير بل يعيد نفسه ويعظم يوما بعد يوم بازدياد الذين يساهمون فيه منذ